# الآفة السادسة
# الغرور

والآفة السادسة التى يبتلى بها بعض العاملين ، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التحرّ منها ، وعدم الوقوع فيها مرّة أخرى إنّما هى : الغرور، ولكى يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد ، محدّد الملامح والمعالم ، سنجعله يدور على النّحو التّالى :

## أولا : معنى الغرور :

لغة : يطلق الغرور فى اللغة على عدّة معان ، أهمّها :

أ ـ الخداع ، سواء أكان للنفس أو للغير ، أو للنّفس وللغير معا ، تقول : غرّه، يَغُرّه ، غرورًا : أى خدعه، وغرّ نفسه، يغرها، غرورا تعنى خدعها (١) . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [ النساء ] .

ب ـ ما يؤدى إلى الغرور ، وما يوقع فيه ، قال الجوهرى : والغرور بالضم : ما اغتر به من متاع الدنيا (٢) . ومنه قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [ فاطر ].

اصطلاحا : أمّا فى اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن الغرور هو إعجاب العامل بنفسه إعجابا يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بجنب ما يصدر عنه ، ولكن دون النيل من ذواتهم أو الترفّع على أشخاصهم .

ولا شك أن من كان بهذه المثابة فهو مخدوع ، وتبعا لذلك فإنّنا يمكن أن نفهم مدى التلاقى بين المعنى الاصطلاحى والمعنى اللغوى .

## ثانيا : أسباب الغرور :

ولما كان الغرور شدّة الإعجاب بالنّفس ، فإن أسبابه التى تؤدى إليه وبواعثه التى توقع فيه، هى فى جملتها أسباب الإعجاب بالنفس ويزاد عليها :

---

(١) انظر : لسان العرب ٥ / ١١ ، مادة : « غرر » .

(٢) انظر: الصحاح ٢ / ٧٦٨ مادة : « غرر» .

**١ ـ إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة :**

إذ قد يكون السبب فى الغرور إنّما هو إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة . ذلك أن بعض العاملين قد يبتلى بالإعجاب بالنفس ، ولإهماله نفسه من التفتيش والمحاسبة يتمكن الدّاء منه ، ويتحول إلى احتقار أو استصغار ما يقع من الآخرين بالإضافة إلى ما يقع منه ، وبذلك يصير مغرورا . ولعل هذا هو السرّ فى وصية الإسلام بالتفتيش فى النّفس، ومحاسبتها أوّلا بأوّل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [ الحشر ] .

**٢ ـ الإهمال أو عدم المتابعة ، والأخذ باليد من الآخرين :**

وقد يكون السبب فى الغرور إنّما هو الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين . ذلك أن بعض العاملين قد يصاب بآفة الإعجاب بالنفس ، ويكون من ضعف الإرادة ، وخور العزيمة ، وفتور الهمة بحيث لا يستطيع التطهّر بذاته من هذه الآفة، وإنّما لابد له من متابعة الآخرين ، ووقوفهم بجواره، وأخذهم بيده . وقد لا يلتفت الآخرون إلى ذلك ، فيقعدون عن أداء دورهم وواجبهم ، وحينئذ تتمكن هذه الآفة من النفس وتتحول بمرور الزمن إلى غرور ـ والعياذ بالله .

ولعل ذلك هو السر فى تأكيد الإسلام على النَّصيحة ، حتى جعل الدين كلّه منحصرا فيها ، وراجعا إليها ؛ إذ يقول ﷺ : « الدّين النّصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١) .

ولعله السر أيضا فى دعوته إلى التضامن والتعاون بين المسلمين ؛ إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [ المائدة : ٢ ] .

ويقول النبى ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه » (٢) .

**٣ ـ الغلو أو التشدد فى الدين :**

وقد يكون السبب فى الغرور إنّما هو الغلو أو التشدّد فى الدين ، ذلك أن بعض العاملين قد يقبل على منهج الله فى غلوّ وتشدّد ، وبعد فترة من الزمان ينظر حوله ،

---

(١ ، ٢) سبق تخريجهما ص ٦٢ .

فيرى غيره من العاملين يسلكون المنهج الوسط ، فيظنّ ـ لغفلته أو عدم إدراكه طبيعة هذا الدين ـ أن ذلك منهم تفريط أو تضييع ، ويتمادى به هذا الظّن إلى حد الاحتقار والاستصغار لكل ما يصدر عنهم بالإضافة إلى ما يقع منه ، وذلك هو الغرور .

ولعلّ ذلك هو بعض السرّ فى دعوة الإسلام إلى الوسطية ، بل وتحذيره من الغلوّ أو التشدّد فى الدّين ؛ إذ يقول ﷺ للرهط الذين عزمُوا على التبتّل واعتزال الحياة : «أنتم قلتم كذا وكذا : أما والله إنّى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلّى وأرقد ، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى »(١) .

ويقول: « هلك المتنطعون »(٢) ، قالها ثلاثا، يعنى : المتعمقين المجاوزين الحدود فى أقوالهم وأفعالهم . « إياكم والغلو فى الدين ، فإنّما هلك من قبلكم بالغلوّ فى الدين »(٣) ، « إن الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا ، وقاربوا ، وأبشروا . . . » الحديث(٤) .

## ٤ ـ التعمق فى العلم ، لاسيّما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل:

وقد يكون السبب فى الغرور إنّما هو التعمق فى العلم، لاسيّما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل ، ذلك أن بعض العاملين قد يكون كل همه التعمق فى العلم لا سيّما غرائب وشواذ المسائل ، مع إهماله العمل ، وربما لاَحَظَ ـ أثناء طرح هذه المسائل ـ غفلة بعض العاملين عنها وعدم إلمامهم بها ، إما لأنّها ثانوية لا يضر الجهل بها ، وإمّا لأنه لا يترتب عليها عمل ، فيخطر بباله أنّ هؤلاء لا يتقنون من مسائل العلم شيئا ، وإن أتقنوا فإنما هو قليل فى جانب ما لديه من الغرائب والشواذ، وما يزال هذا الخاطر يتردد فى نفسه ، ويلح عليه حتى يتحول إلى احتقار واستصغار ما لدى الآخرين ، بالإضافة إلى ما عنده ، وذلك هو داء الغرور .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب النكاح : باب الترغيب فى النكاح ٧ / ٢ ، ومسلم فى: الصحيح: كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه. . . إلخ ٢/ ١٠١٨ رقم (١٤٠١ ) ، والنسائى فى : السنن : كتاب النكاح : باب النهى عن التبتل ٦ / ٦٠ رقم (٣٢١٧) ، وأحمد فى : المسند ٣ / ٢٤١ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، كلهم من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعا ، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب العلم : باب هلك المتنطعون ٤ / ٢٠٥٥ رقم (٢٦٧٠ ) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا به .

(٣) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ١ / ٢١٥ ، ٣٤٧ من حديث ابن عباس ﷺ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الإيمان: باب الدين يسر ١/١٦ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا به .

ولعلّ ذلك هو السر فى دعوة الإسلام إلى أن يكون السعى فى طلب العلم دائما حول النافع والمفيد ؛ إذ كان من دعائه ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها »(١) .

بل وفى تأكيده على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل، وإلا كان الهلاك والبوار، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ الصف ] ، ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ البقرة ] .

وإذ يقول النبى الكريم ﷺ : « يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق أقتابه فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أى فلان ماشأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه »(٢) .

## ٥ ـ الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصى والسيئات :

وقد يكون السبب فى الغرور ، إنما هو الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصى والسيئات ، ذلك أننا جميعا بشر ، وشأن البشر ـ سوى النبيين ـ الصواب والخطأ ، وإذا غفل العامل عن ذلك فإنه كثيرا ما يقف عند الطاعة أو الصواب فى الوقت الذى ينسى فيه المعصية أو الخطأ، وتكون العاقبة الإعجاب بالنفس ، المقرون باحتقار ما يقع فيه الآخرون إلى جانب ما يصدر عنه ، وهذا هو الغرور.

وقد لفت المولى ـ سبحانه وتعالى ـ النّظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث وهو يمدح صنفا من المؤمنين يؤدى الطاعة، ويخاف أن يكون قد وقع منه ما يحول بينه وبين قبولها فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ٤/ ٢٠٨٨ رقم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم ﷺ مرفوعا به ، بيد أنه زاد قبله : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر ؛ اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب بدء الخلق: باب صفة النار وأنها مخلوقة ٤/ ١٤٧، ومسلم فى: الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله ٤/ ٢٢٩٠، ٢٢٩١ رقم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد ﷺ مرفوعا به، واللفظ للبخارى .

وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾ [ المؤمنون ] .

تقول عائشة ﵂ قلت : يا رسول الله، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَة ﴾ هو الذى يسرق، ويزنى، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عزّ وجلّ ؟ قال : « لا يا بنت الصدّيق، ولكنه الذى يصلى ويصوم، ويتصدّق، وهو يخاف الله عزّ وجلّ » (١) .

كما لفت النبى ﷺ النظر إلى ذلك حين دعا إلى أن يكون التعويل بعد الفراغ من العمل على فضل الله ورحمته ، لا على العمل نفسه ، وإلا كان الغرور والضياع ، فقال : « لن ينجى أحدا منكم عمله »، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمته، سدّدوا، وقاربوا، واغدوا ، وروحوا، وشىء من الدّلجة، والقصد القصد تبلغوا » (٢) .

وقد عبر عن ذلك كله بوضوح سيدنا عبد الله بن مسعود ، حين بيّن أثر تذكر الذنب ونسيانه على سلوك الإنسان ، فقال : « إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه ، فقال به هكذا » (٣) أى نحّاه بيده ، ودفعه عنه .

٦ ـ الركون إلى الدنيا :

وقد يكون السبب فى الغرور هو الركون إلى الدنيا ، ذلك أن بعض العاملين قد يفطن إلى أنه مبتلى بآفة الإعجاب بالنفس، بيد أنه لركونه إلى الدنيا، وانغماسه فيها، ربما يعتريه الكسل، فلا يستطيع أن يجمع همته لمداواة نفسه، بل قد يأخذ فى التسويف وتأخير التوبة، وبمرور الزمن يتحول الإعجاب بالنفس إلى داء أكبر وأبعد، ألا وهو الغرور.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب تفسير القرآن : باب من سورة « المؤمنون » ٥/٣٠٦ ، ٣٠٧ رقم ( ٣١٧٥) من حديث عائشة ﵂ مرفوعا به، وعقب عليه بقوله: « وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ نحو هذا ».

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل ٨/١٢٢، ١٢٣، ومسلم فى: الصحيح: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب لن يدخل الجنة أحد بعمله... إلخ ٤/٢١٦٩، ٢١٧١ رقم ( ٢٨١٦ ، ٢٨١٨ ) من حديث أبى هريرة ، وعائشة ﵂ مرفوعا به وبنحوه، واللفظ للبخارى .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الدعوات: باب التوبة ٨/٨٣ ، ٨٤ من حديث عبد الله ابن مسعود ﵁ موقوفا عليه به، وادعى بعضهم أنه مرفوع، وهو وهم. انظر: فتح البارى ١١/١٠٥ .

وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث ، من خلال ذم الدنيا ، والتحذير منها ، إذا اتخذها الناس هدفا أو غاية ، فقال :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد: ٢٠] . ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ [الكهف] . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس] .

وقال ﷺ : « تعس عبد الدّينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى السّاقة كان فى السّاقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع » (١) .

وقلما كان ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا،ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولاتجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » (٢) .

ولقد وعى سلف الأمّة ، ما يجره الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها على المرء من وبال ، فأعرضوا عنها إلا بمقدار ما يتزودون منها للآخرة ، وجرى ذلك كثيرا على ألسنتهم ، يقول على رضي الله عنه : ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحدة

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب الجهاد: باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله ٤/ ٤١، ٤٢، وكتاب الرقاق: باب ما يتقى من فتنة المال ٨/ ١١٤، ١١٥، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب فى المكثرين ٢/ ١٣٨٥، ١٣٨٦ رقم (٤١٣٥، ٤١٣٦)، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات : باب (٨٠) ٥ / ٤٩٣ ، ٤٩٤ رقم (٣٥٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا به ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب».

منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل [١] .

ويقول الحسن ـ رحمه الله : من نافسك فى دينك فنافسه فيه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره [٢] .

ويصور بعضهم هذا الوعى ، وذلك الإحساس ، قائلا :

إن للـــه عبـــــــادًا فطنـــا طلقوا الدنيـا وخافـوا الفتنـــا

نظـــروا فيها فلمـــا علمـــوا أنهـا ليســت لحـى وطنـــــا

جعـلوها لجّـــــة واتخذوا صالح الأعمـال فيها سفنا [٣]

## ٧ ـ رؤية بعض ذوى الأسوة والقدوة على حال دون الحال التى ينبغى أن يكونوا عليها :

وقد يكون السبب فى الغرور إنما هى رؤية بعض ذوى الأسوة أو القدوة على حال دون الحال التى ينبغى أن يكونوا عليها ، ذلك أن بعض ذوى الأسوة والقدوة ، قد ينزلون ـ لسبب أو لآخر ـ عن الحال التى ينبغى أن يكونوا عليها، من أخذ أنفسهم بالعزيمة فى غالب الأحيان ، إلى حال أقل منها من أخذ أنفسهم بالرخص فى بعض الأوقات .

وربما رأى ذلك من يحاول الاقتداء والتأسّى بهم، ولقلّة رصيده من الفقه، أو لعدم اكتمال تربيته ، يتوهّم أو يظن أنهم بذلك دونه فى العمل بمراحل ، ويظلّ هذا الوهم أو هذا الظن يلاحقه ويلحّ عليه، حتى يتحول ـ والعياذ بالله ـ إلى الإعجاب بالنفس، ثم الغرور .

ولعل ذلك هو بعض السر فى دعوة الإسلام إلى البعد عن مواطن التهم ، من خلال بيان وجه الحق فى سائر التصرفات المباحة، التى ربما تؤدى إلى سوء الظن .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب فى الأمل وطوله ٨ / ١١٠ من حديث على موقوفا عليه به .

(٢) الأثر أورده الغزالى فى إحياء علوم الدين ٣ / ٢٠٧ .

(٣) الأبيات أوردها الإمام النووى فى : مقدمته لكتاب رياض الصالحين ص ٢ دون أن يعزوها لأحد .

عن صفية بنت حيى زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها، أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره فى اعتكافه فى المسجد ، فى العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ، ثم قامت تنقلب ، فقام النبى ﷺ يقلبها ، حتى إذا بلغت المسجد عند باب أم سلمة مرّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبى ﷺ : « على رسلكما، إنما هى صفيّة بنت حيىّ»، فقالا: سبحان الله، يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبى ﷺ : « إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدّم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا » (١) .

وصلى يزيد بن الأسود مع النبى ﷺ وهو غلام شاب ، فلما صلى إذا رجلان لم يصليا فى ناحية المسجد ، فدعا بهما ، فجىء بهما ترعد فرائصهما ، فقال : « مامنعكما أن تصليا معنا ؟» قالا: قد صلينا فى رحالنا، فقال: « لا تفعلوا ، إذا صلى أحدكم فى رحله، ثم أدرك الإمام، ولم يصل، فليصل معه، فإنها له نافلة » (٢) .

ولذا قال ابن دقيق العيد : « وهذا ـ أى التحرز من كل ما يوقع فى التهم ـ متأكد فى حق العلماء ، ومن يُقتدى بهم ، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم ، وإن كان لهم فيه مخلص ؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم، وقد قالوا : إنه ينبغى للحاكم أن يبين وجه الحق للمحكوم عليه إذا خفى عليه ، وهو من باب نفى التهمة بالنسبة إلى الجور فى الحكم » (٣) .

### ٨ ـ مبالغة بعض العاملين فى إخفاء ما يصدر عنهم من أعمال :

وقد يكون السبب فى الغرور إنما هى مبالغة بعض العاملين فى إخفاء ما يصدر عنهم من أعمال، ذلك أن بعض العاملين قد يحمله الحرص على تحقيق معنى الإخلاص

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاعتكاف : باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ ٣ / ٦٤ ، ٦٥ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب السلام : باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له ... إلخ ٤/١٧١٢، ١٧١٣ رقم (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فيمن صلى فى منزله ثم أدرك الجماعة يصلى معهم ١/١٥٧ رقم (٥٧٥)، والترمذى فى: السنن: كتاب الصلاة : باب ما جاء فى الرجل يصلى وحده ثم يدرك الجماعة ١ / ٤٢٤ ـ ٤٢٦ رقم (٢١٩)، وعقب عليه بقوله : « حديث يزيد بن الأسود حديث حسن صحيح » ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإمامة : باب إعادة الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه ٢ / ١١٢ رقم (٨٥٧) من حديث يزيد بن الأسود رضي الله عنه مرفوعا به .

(٣) انظر : إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٢ / ٥٧ ، وعنه نقل ابن حجر فى فتح البارى ٤ / ٢٨٠.

إلى أن يبالغ فى إخفاء ما يصدر عنه من عمل، فلا يظهر منه إلا أقل القليل ، وربما لاحظ أو رأى بعض من لم تنضج تربيتهم بعد، هذا الذى يظهر فقط، فيتوهم أن عمل هؤلاء قليل فى جنب عمله، ويظل هذا الوهم يساوره ويلحّ عليه، حتى يقع فى أحبولة الإعجاب بالنفس ثم الغرور.

ولعلّ دعوة الإسلام إلى إبراز الأعمال الطيبة ، والتعرض بها للناس ـ فوق كونها تحريضا لهم على الاقتداء والتأسى ـ فيها إشارة إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث ، مع بيان طريق الخلاص منه ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُم** ﴾ [ البقرة: ٢٧١ ] .

وإذ يقول النبى ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » [١] . « من سنّ فى الإسلام سنّة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعد، من غير أن ينقص من أجورهم شىء . . . » [٢] الحديث .

## ٩ ـ تفرقة بعض ذوى الأسوة والقدوة فى معاملة المتأسين أو المقتدين:

وقد يكون السبب فى الغرور إنّما هى : تفرقة بعض ذوى الأسوة والقدوة فى معاملة المتأسّين أو المقتدين ؛ ذلك أن بعض ذوى الأسوة والقدوة، قد يغيب عن بالهم الأسلوب الأمثل فى معاملة المتأسين أو المقتدين، فتراهم يقربون البعض ويفسحون صدورهم له ، ويتغاضون عن هفواته وأخطائه ، فى الوقت الذى يعرضون فيه عن البعض الآخر ، ويضيقون به ذرعا، ويفتحون عيونهم على أدنى الهفوات والزلات التى تقع منه ، وربّما كان فى الصنف الأول من لم تكتمل تربيتهم ، ولم تنضج شخصياتهم بعد، ويشاهد هذه التفرقة فى المعاملة ، فيخطر بباله أنها نابعة مما لديه من إمكانات ومواهب لا توجد عند الآخرين ، ويظلّ هذا الخاطر يلحّ عليه ، حتى يكون الإعجاب بالنفس ، ثم الغرور .

ولقد سدّ النبى ﷺ هذا الباب من خلال حرصه على معاملة أصحابه بالسوية ، إذ

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ / ١٦٥ ، ١٦٦، ومسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ / ٤٥٠ ، ٤٥١ رقم (٦٥٠) من حديث ابن عمر مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ٢/٧٠٤ ـ ٧٠٦ رقم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلى مرفوعا به ، وبنحوه .

كان من هديه ﷺ كما يقول واصفوه : « يعطى كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب جليسه أنّ أحدا أكرم عليه منه » (١) .

ويوم أن كانت الحاجة تلجؤه ﷺ إلى التفريق فى المعاملة ولا يفهم جليسه الحكمة من وراء ذلك، كان يبين صراحة، إذ يروى سعد بن أبى وقاص فيقول :

أعطى رسول ﷺ رهطا ، وأنا جالس ، فترك رجلا هو أعجبهم إلىّ ، فقلت : يا رسول الله، مالك عن فلان، فو الله إنى لأراه مؤمنا ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام: « أو مسلما » فسكتّ قليلا، ثم غلبنى ما أعلم منه، فعدت لمقالتى، فقلت: مالك عن فلان، فو الله إنّى لأراه مؤمنا ، فقال : « أو مسلما »، ثم غلبنى ما أعلم منه ، فعدت لمقالتى، وعاد رسول الله ﷺ ، ثم قال : « يا سعد، إنّى لأعطى الرجل، وغيره أحبّ إلىّ منه ، خشية أن يكبّه الله فى النار » (٢) .

**ثالثا : آثار الغرور :**

وللغرور آثار سيئة، وعواقب خطيرة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، وإليك بعض هذه الآثار وتلك العواقب :

**أ ـ على العاملين :**

فمن آثاره على العاملين فوق ما قدَّمنا فى آفةِ الإعجاب بالنَّفْس :

**١ ـ الوقوع فى غوائل المراء والجدل :**

أىْ أنَّ الأثر الأول الذى يتركه الغرور على العاملين إنما هو الوقوع فى غوائل المراء والجدل، ذلك أن المغرور ـ لحبِّه لذاته ، ورؤيته لعمله ، واحتقاره لأعمال الآخرين ـ يحاول دائما الانتصار لنفسه، والغلبة لها بالحق أو بالباطل، ويزين له الشيطان أن أفضل وسيلة توصل إلى ذلك إنَّما هى المراء والجدل، وينطلى عليه هذا التَّزيين، فيقع فيه، وحينئذ تَضيع عليه الأوقات، ويذهب العمر سُدى، وذلك هو الضلال والضياع .

---

(١) الحديث جزء من حديث مطوّل أخرجه الترمذى فى : الشمائل المحمدية : باب ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ ص ١٨ ـ ٢٣ من حديث سفيان بن وكيع ، عن جميع بن عمير بن عبد الرحمن ، عن رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة ، عن الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ به ، وإسناده ضعيف لضعف سفيان وجميع ، وجهالة الرجل الذى من بنى تميم ، إلا أنّ له شواهد أخرى تجبر هذا الضعف ، وترفعه إلى درجة القبول .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان : باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/ ١٣، ١٤ ، من حديث عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه مرفوعا به .

وقد لفت النبي ﷺ النظر إلى ذلك فقال : « ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (١) .

كما حضَّ على التحرر من المراء والجدل بأوجز عبارة، وألطف أسلوب فقال: « أنا زعيم ببيت في ربض الجنَّة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنَّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت في أعلى الجنَّة لمن حسن خلقه» (٢) .

## ٢ ـ الوقوع في حبائل التكبُّر في الأرض بغير الحقِّ :

وأمَّا الأثر الثاني الذي يؤدي إليه الغرور فإنَّما هو الوقوع في حبائل التَّكبُّر في الأرض بغير الحقِّ ، ذلك أن الغرور حين يتمكَّنُ من النَّفس يتحوَّل من مجرد استصغار واحتقار ما يصدر عن الآخرين من أعمال ، إلى ترفُّع وتعالٍ على هؤلاء ، وللترفع والتعالي أو التكبر عواقب وخيمة وآثار ضارَّة ، وسنقف عليها بالتفصيل ـ إن شاء الله ـ أثناء الحديث عن آفة التكبر .

## ٣ ـ الاستبداد بالرأي :

وأمّا الأثر الثالث الذي يترتَّب على الغرور فإنَّما هوالاستبداد بالرأي ، ذلك أن المغرور لرؤيته نفسه ، ويعتقد أن ما يصدر عنها سدادٌ لا خطأ فيه ، وأنَّ ما يصدر عن الآخرين خطأ لا سداد فيه، ومثل هذا إذا دعي إلى حق عزَّ عليه النزول عليه، والإذعان له فيبقى مستبدا برأيه، واستبداده برأيه يجعله يعيش حياته غارقا في الأخطاء ، حتى يهلك مع الهالكين .

## ب ـ على العمل الإسلامي :

وأمّا آثاره على العمل الإسلامي فتتلخص في :

١ ـ سهولة اختراقه من قبل أعداء الله ، الأمر الذي يؤدي إلى ضربه ، أو على الأقل إجهاضه ، فلا يؤتي ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب «ومن سورة الزخرف » ٥/٣٥٣ رقم (٣٢٥٣) وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار. . .إلخ»، وابن ماجه في : السنن : المقدمة : باب اجتناب البدع والجدل ١/١٩ رقم (٤٨) ، كلاهما من حديث حجاج بن دينار، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة مرفوعا به.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق ٤/٢٥٣ رقم (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة مرفوعا به . وأورده الألباني في: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٧٣) معزوا إلى أبي داوُد، وأشار إلى أن في إسناده مَنْ لا يعرف، لكنه أورد له شواهد ترفعه إلى مرتبة الحديث الحسن.

٢ ـ انقلاب العامة والبسطاء من الناس عليه، ونيلهم منه لاسيَّما فى أوقات الشدائد والمحن ؛نظرا لأنهم لم يروا من المنتسبين إليه إلا غرورا يتجلى فى الازدراء والاحتقار لأعمالهم حتى وإن كانت خيرا،وهذا وحده فيه ما فيه.

رابعا: مظاهر الغرور :

ويدل على الغرور عدَّة مظاهر ، نذكر منها :

١ ـ دوام التحقير والتسفيه لأعمال الآخرين حتى وإن كانت خيرا .

٢ ـ كثرة الحديث عما يصدر عن النَّفس من أعمال، مع مدحها والرَّفع من شأنها.

٣ ـ صعوبة الإذعان والانقياد للحق ، حتى وإن كان صادرًا عمن هو أهل له.

خامسا : علاج الغرور :

هذا ، ويمكن علاجُ النَّفْس من الغرور ، بل ووقايتها من أن تُبْتَلى به مرَّةً أخرى، وذلك باتباع الأساليب والوسائل التالية :

١ ـ الوقوف على العواقب والآثار المترتبة على الغرور؛ فإن الوقوف على ذلك مما يحرِّك النَّفس من داخلها، ويجعلها ـ إن كان لا يزال فيها خير ـ تسعى جاهدة للتخلص من هذا الداء، قبل أن يأتى يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، وقبل أن تَتمنى الرجعة إلى الدنيا لتدارك التقصير فلا تجاب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾[المؤمنون].

٢ ـ التنبيه إلى ضرورة التوسط والاعتدال فى كل شىء ، حتى فى الطّاعات والمباحات ، لئلا يكون هناك غرور أو قعود .

٣ ـ التذكير بأن الأعمال وإن كانت ضرورة لابد منها ؛ فإنَّها ليست سبب النَّجاة حتى يعوِّل العبد عليها،وإنَّما النَّجاة محض تفضُّل من الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما يشير إلى ذلك التعبير بالإدخال فى كثير من آى القرآن الكريم، إذ يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) ﴾ [ النساء]. ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣)﴾ [إبراهيم]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [ الحج: ١٤، ٢٣] . . . . إلخ.

وكما يشير إلى ذلك الحديث الذى ذكرنا فى أسباب الغرور : « لن ينجى أحداً منكم عملُه . . . » الحديث (١) .

٤ ـ دوام النظر فى كتاب الله ـ عز وجلَّ ـ وسنة النبى ﷺ ؛ فإن ذلك يطلعنا على سير وأخبار الأنبياء والصالحين ، وكيف كانوا يخافون من الهفوات أن تقع منهم ، مع أن رصيدهم من الطاعات ضخم وكبير حتى نقتدى ونتأسى .

حكى القرآن عن آدم وحواء قولهما : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [ الأعراف ] . وحكى عن نوح قوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [ هود ] . وحكى عن إبراهيم قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]. وغير هذا كثير.

٥ ـ الوقوف على سير وأخبار السَّلف مِنْ هذه الأمَّة ، حيث كانوا يعملون العمل الكثير، المراعى فيه الصدق والإخلاص، ثم لا يعوِّلون عليه، بل إنَّهم ليتَّهمون أنفسهم فى كثير من الأحوال ؛ فإن ذلك مما يحرِّك العواطف ، والأحاسيس للاقتداء أو على الأقل المحاكاة . جاء عن أبى بكر الصدِّيق صاحب النبى ﷺ ورفيقه فى الغار ، وأكمل هذه الأمَّة إيمانا بعد نبيِّها ﷺ قوله: « لو يعلم الناس ما أنا فيه لأهالوا على التراب ».

ولما حضرت الشافعى الوفاةُ، سأله بعض الأصحاب، قائلاً له : « كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ » فأجابه ـ وهو الذى وصفه تلميذه أحمد بن حنبل بأنَّه كان كالشمس للدنيا والعافية للناس ـ بقوله : « أصبحت عن الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا ، ولسوء عملى ملاقيا ، وعلى الله عزَّ وجل واردا ، ولا أدرى أيؤمر بى إلى الجنَّة ، أو يؤمر بى إلى النَّار ، ثم أنشد :

ولمَّا قسا قلبى ، وضاقت مذاهبى ... جعلتُ الرَّجا منى لعفوك سلَّما

تعاظمنى ذنبى فلمَّا قرنته ... بعفوك ربِّى كان عفوك أعظما

٦ ـ التوجيه إلى الاشتغال بأمَّهات وأصول المسائل، مع الإعراض عن الشواذِّ والغرائب؛ لما فى ذلك من الحفاظ على الأوقات ،والانتفاع بالأعمار.

٧ ـ مقاطعة المغترين، والابتعاد عن صحبتهم، مع الارتماء فى أحضان العارفين

---

(١) سبق تخريجه ص ١٢٠ .

بربِّهم المقدرين له حقَّ قدره، الذين يعملون العمل، ولا يَتَّكِلُونُ عليه، خشية أن يكون قد وقع منهم ما يحول دون قبوله، على النَّحو الذى قدمنا فى مدح الحق سبحانه وتعالى لهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ... ﴾ الآيات [ المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١ ] .

٨ ـ محاسبة النفس أولا بأوَّل ، وتأديبها حتى تقلع عن كل الأخلاق الذميمة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «الكيِّس مَنْ دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأمانى »(١) .

٩ ـ متابعة الآخرين له ، وقيامهم بواجبهم نحوه من النَّصيحة مقرونة بشروطها وآدابها ثم حمله ـ بمختلف الأساليب ـ على قبول هذه النصيحة ، وتنفيذها مهما كانت شاقة أو صعبة .

١٠ ـ التأخير عن المواقع الأمامية ، ولو لفترة من الزمان حتى يبرأ من هذه الآفة وتعود نفسه إلى فطرتها وإشراقها .

١١ ـ اتباع المحيطين به للآداب الشرعية فى الثناء والاحترام والانقياد ، حتى يقطع الطريق على الشيطان ، وتستأصل من النفس هذه الآفة .

١٢ ـ حرص المحيطين به على إبراز بعض الأعمال الطيبة أمام المبتلين بداء الغرور؛ لئلا ينفرد بهم الشيطان ويهلكهم .

١٣ ـ حرص ذوى الأسوة والقدوة على معاملة المقتدين أو المتأسِّين بالسويَّة ؛ لئلا يبقى للشيطان مسلك إلى النَّفس ، فتسلم من وسوسته وكيده.

١٤ـ الاستعانة بالله ـ عزَّ وجل ـ فإنَّه سبحانه يعين من دعاه ، ولجأ إليه ولاذ به ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [ العنكبوت ] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ٢ / ١٤٢٣ رقم (٤٢٦٠) من حديث أبى يعلى شداد بن أوس مرفوعا به .